نحـو عـلم اجتمـاع تنـويـري
Towards an enlightened sociology
للدراسـات والأبحـاث الإنسانية والسوسيولوجية



الجهل البنيوي في المجتمعات العربية المعاصرة من التحديات المعرفية إلى آفاق التحرر الاجتماعي

(دراسة تحليلية – نقدية)

د. حسام الدين فياض

باحث وأكاديمي سوري

الدراسات والأبحاث الإنسانية والسوسيولوجية

نحـــو عــــلم اجتمــــاع تنــويـــري

Towards an enlightened sociology

الدراسات والأبحاث الإنسانية والسوسيولوجية

نحـــو عـــــلم اجتمــــاع تنــويـــري

Towards an enlightened sociology

الدراسـات والأبحـاث الإنسانية والسوسيولوجية

- تـأليف د. حســـام الـدين فيـاض الأســـتـاذ المســـاعـد في النظريـة الاجتماعية المعاصرة

الجهل البنيوي في المجتمعات العربية المعاصرة من التحديات المعرفية إلى آفاق التحرر الاجتماعي

(دراسة تحليلية - نقدية)

- الناشـــر نحــــو علــــم اجتمــــاع تنـــويري للدراســـــات والأبحــــاث الإنسانية والسوسيولوجية
- ماردين - الطبعة الأولى - عام 2025
- كتاب إلكتروني - عدد الصفحات 73 - القياس (16×22)

- @ enlightenment980@gmail.com

فهرس الموضوعات

العنصر الخامس

العنصر السادس

* * * * * * * * * * * * * * *

" الجهل في مجتمعاتنا العربية المعاصرة هو السلاح الأكثر فتكًا، لأنه يحجب عن الأفراد فهم واقعهم والسيطرة على مصيرهم وبناء مستقبلهم ".

" الجهل ليس مجرد نقص في المعلومات، بل هو هيمنة متجذرة في البنى الاجتماعية والثقافية التي تحد من حرية الفكر والتفكير النقدي ".

" المجتمعات التي تسمح بتكريس الجهل، تسمح أيضاً في إبقاء قوى الهيمنة والسيطرة على وعي أفرادها " (الكاتب).

* * * * * * * * * * * * * * *

(الملخص)

يتناول هذا البحث **الجهل بوصفه ظاهرة معرفية واجتماعية** مؤثرة على وعي الفرد وسلوكه في المجتمعات العربية المعاصرة، مسلطاً الضوء على **أبعاده التاريخية والثقافية والسياسية**. وقد اعتمد البحث على **المنهج التحليلي – النقدي**، ما أتاح **دراسة الظاهرة بصورة متعمقة، تكشف جذورها البنيوية وتفكيك آليات ترسيخها**. كما يقدم البحث **تأصيلاً معرفياً** لمفهوم الجهل، ويحلل خصائص الإنسان والمجتمع الجاهل، مع **استعراض أنواعه** المختلفة، بدءاً من **الجهل التقليدي وصولاً إلى الجهل البنيوي والمقدس**، في إطار **رؤية معرفية وبنيوية متكاملة.**

كما حاول البحث **دراسة الأسباب البنيوية** التي ساهمت في تكريس **مشكلة الجهل**، مثل: **إرث الاستعمار، سياسات القهر الاجتماعي، ضعف المؤسسات التعليمية، وآليات التحكم الثقافي والإعلامي**، مع إبراز دور هذه العوامل في **تعزيز الهيمنة والسيطرة غير المباشرة**. ويختتم البحث باستعراض **سُبل تجفيف منابع الجهل، من خلال تعزيز الوعي النقدي والمعرفي،**

تطوير البنى التعليمية والثقافية، وتمكين المجتمع من التحرر الفكري والاجتماعي، بما يسهم في **بناء مجتمع قادر على المعرفة والحرية الفكرية**، ويحقق التنمية المستدامة في أبعادها الثقافية، والاجتماعية، والسياسية.

(المقدمة)

يعتبر الجهل **ظاهرة اجتماعية ومعرفية تتجاوز مجرد النقص في المعلومات**، فهو حالة متجذرة في **البنية الفكرية والثقافية للمجتمعات**، تؤثر على **وعي الإنسان وسلوكه وقدرته** على التمييز بين الحقيقة والزيف. **ويتخذ الجهل أشكالاً متعددة، تتراوح بين الجهل الفردي المحدود إلى الجهل البنيوي الذي يترسخ في المؤسسات التعليمية والإعلامية والسياسية، مما يجعله أداة غير مرئية للسيطرة والهيمنة.** ويكتسب هذا الموضوع **أهمية خاصة** في المجتمعات العربية المعاصرة، حيث **تتقاطع عوامل تاريخية وسياسية واجتماعية أدت إلى تعزيز هذه الظاهرة، بما في ذلك إرث الاستعمار، السياسات التمييزية، وضعف المؤسسات التعليمية، وانتشار ثقافة القهر الفكري والاجتماعي.**

يحاول هذا البحث تقديم **رؤية شاملة للجهل من خلال استكشاف أبعاده المختلفة بدءاً من التأصيل المعرفي للمفهوم، مروراً بتحليل خصائص الإنسان والمجتمع الجاهل، واستعراض**

أنـــواع الجهـــل بمقاربـــات معرفيـــة وبنيويـــة، وصـــولاً إلـــى دراســـة الأســـباب البنيويـــة وأدوات وآليـــات تكـــريس الجهـــل، ثـــم البحـــث فـــي الســـبل الممكنـــة لتجفيـــف منابعـــه، بمـــا يُمكّـــن الأفـــراد والمجتمعـــات مـــن التحـــرر مـــن أشـــكال الهيمنـــة والسـيطرة غيـــر المباشـــرة. ويهـــدف البحـــث إلـــى تقـــديم **تحليـــل متكامـــل** يجمـــع بـــين **الرصـــانة العلميـــة والعمـــق الفكـــري**، مـــع إبـــراز **العلاقـــة بـــين المعرفـــة والقـــدرة علـــى الفهـــم النقـــدي**، لتســـليط الضـــوء علـــى كيفيـــة مواجهـــة الجهـــل فـــي الســـياق العربـــي المعاصـــر، **وفهـــم انعكاســـاته علـــى التنميـــة الاجتماعية والسياسية والثقافية.**

أولاً- التأصيل المعرفي لمفهوم الجهل مقاربة متعددة الأبعاد:

يشكل **مفهوم الجهل** إحدى **القضايا المركزية التي رافقت الفكر الإنساني** منذ بداياته، إذ لم يُفهم فقط بوصفه نقيضاً للمعرفة، بل باعتباره ظاهرة متشعبة تتداخل فيها الأبعاد **اللغوية، والفلسفية، والنفسية، والاجتماعية.** ومن هنا جاء اهتمام المدارس الفكرية المختلفة بتأصيله نظرياً، مما أفضى إلى تراكم معرفي يبين أن الجهل ليس مجرد نقص في المعلومات، بل بنية ثقافية واجتماعية تتجاوز حدود الفرد إلى صميم التفاعلات الإنسانية.

لغوياً، يُشتق **الجهل** من الجذر **(ج. هـ. ل)** الذي يدل على **نقيض العلم**، أي " **انعدام المعرفة أو قلّتها** "، كما في قول **ابن منظور في لسان العرب: " الجهل نقيض العلم، وقد جهله فلان جهلاً وجهالة، وجهل عليه. وتجاهل: أي أظهر الجهل، وقد يُستعمل في معنى السفه والطيش** ". ومن هنا يظهر البعد المزدوج للمفهوم، بوصفه نقصاً معرفياً من جهة، وسلوكاً غير عقلاني من جهة أخرى.

أما **اصطلاحاً**، فقد عُرف الجهل بأنه: **اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه، (والجهل: تصور الشيء على خلاف ما هو به في الواقع)**، فالعلم خلافه الجهل، والجهل يطلق على خلاف العلم وخلاف الحلم، فيقال: هذا **جاهل** بمعنى: غير عالم، ويقال: هذا **جهول.** أي: صاحب نزق وخفة وطيش ونقص عقل، الأول من الجهل الذي هو خلاف العلم، والثاني من الجهل الذي هو خلاف الحلم. **حَدُّ الجهل:** فقد العلم يعني عدم العلم بالشيء. ويتضح مما سبق **أن الجهل ليس مجرد فراغ معرفي، بل حالة من الاعتقاد الخاطئ الذي يلبس لبوس الحقيقة.**

وفي **الفلسفة**، يُطرح مفهوم الجهل بوصفه عائقاً أمام تحقق الحكمة. فقد اعتبر **أفلاطون** أن **الوعي بالجهل هو الشرط الأول للمعرفة الحقيقية**، وحين نسب إلى **سقراط** قوله: " **إنني أعلم أنني لا أعلم** "، في إشارة إلى **أن إدراك حدود الجهل هو بداية الحكمة.** ويذهب **الفيلسوف كارل** بوبر لاحقاً إلى أن الجهل ليس حالة سلبية تماماً، بل هو محرك للتساؤل النقدي ولعملية " **التخطئة والتصحيح** " التي تقوم عليها المعرفة العلمية.

ومن **المنظور النفسي**، يفهم الجهل على أنه حالة **معرفية – انفعالية** تتسم **بغياب الوعي أو رفضه**، وقد ترتبط بما يعرف بـ " **التحيز المعرفي** ". فقد أشار **دانيال كانيمان Daniel Kahneman** إلى أن الإنسان قد يفضل " **الوهم المعرفي** " على مواجهة **تعقيد الحقيقة**، وهو ما يجعل الجهل آلية دفاعية نفسية في بعض الحالات. كما أن علم النفس الاجتماعي يربط بين الجهل و" **التفكير الجمعي** " حيث يفضل الامتثال للجماعة على حساب البحث عن الحقيقة.

وفي **السياق العربي** لا ينظر **مصطفى حجازي** في **تحليلاته النفسية – الاجتماعية** في كتابه " **التخلف الاجتماعي** "، إلى الجهل باعتباره مجرد نقص معرفي أو فراغ إدراكي، **بل كآلية وجودية مرتبطة ببنية القهر التي يعيشها الإنسان العربي المقهور**. فالجهل، بحسبه، يتجسد في الوعي الزائف الذي يُنتج داخل شروط التبعية والاستلاب، حيث يستبدل البحث النقدي عن الحقيقة بالتسليم الأعمى للسلطات الاجتماعية والثقافية. وهو في هذا الإطار لا ينفصل عن منظومة أوسع من " **عطالة العقل النقدي** " و" **إفقار الوعي** "، إذ يصبح الجهل ليس مجرد غياب

للمعرفة، بل حالة نفسية جماعية تُعيد إنتاج العجز والتبعية وتُضعف القدرة على الفعل التحرري.

إن **توصيف الجهل** عند حجازي يكشف عن بعد مزدوج: فمن **الناحية النفسية**، يمثل الجهل نمطاً دفاعياً يتيح للفرد التعايش مع واقعه القهري من خلال تجنب المواجهة النقدية مع الحقيقة، ومن **الناحية الاجتماعية**، يعتبر أداة تستثمر في ضبط الجماعات وإدامة السيطرة السلطوية. بهذا المعنى، يصبح الجهل عند حجازي **ليس فقط حرماناً من المعرفة، بل هو نتاج بنيوي لآليات القهر والاستلاب التي تكبل الإنسان وتبعده عن الفعل الواعي والتحرر**.

وفي سياق **علم الاجتماع**، فيدرس الجهل لا كحالة فردية فقط، بل كبنية اجتماعية تتشكل عبر مؤسسات وأنماط ثقافية. فقد ميز **كارل مانهايم** بين " **الجهل البسيط** " الناتج عن غياب المعلومة، و" **الجهل البنيوي** " الذي يعاد إنتاجه عبر السلطة والمعرفة الرسمية. وفي السياق المعاصر، طوّر **مايكل سميثسون** **Michael Smithson** في كتابه " **الجهل وعدم**

اليقين (النماذج الناشئة) " عام 1989 مفهوم " **الجهل الاجتماعي** " ليصف كيف يمكن للجهل أن يكون " **رأسمالاً اجتماعياً** " يوظف للحفاظ على مصالح سياسية واقتصادية معينة. ومن هذا المنظور، **فإن الجهل ليس مجرد نقص، بل هو ظاهرة اجتماعية متعمدة أحياناً، تُستخدم كأداة لإدامة علاقات الهيمنة والقهر داخل المجتمع.**

ومع صعود **المنظور البنائي الوظيفي** مع **تالكوت بارسونز،** أصبح يُنظر إلى الجهل بوصفه اختلالاً وظيفياً يُضعف قدرة الأفراد على **أداء أدوارهم** الاجتماعية بما يهدد **توازن النسق الاجتماعي. فالمعرفة في هذا الإطار شرط للتكامل والاندماج، بينما الجهل يمثل خطراً على استقرار النظام الاجتماعي.**

وفي رؤية مختلفة، وسّع **أنتوني جيدنز** هذا التصور من خلال نظريته **التشكيل البنائي،** حيث اعتبر أن الجهل ليس مجرد حالة سلبية، بل **نتاج جدلي للعلاقة بين الفاعلين والبنية.** فالمؤسسات تحدد **ما يُعرف وما يُجهل،** بينما الأفراد بدورهم

يعيدون إنتاج هذه الحدود أو تجاوزها. ومن هنا يصبح الجهل حقلاً للصراع حول السلطة والقدرة على الفعل الواعي.

أما مدرسة **فرانكفورت النقدية** فقد سعت إلى نقل النقاش إلى **مستوى أكثر راديكالية**، حيث أعاد **هوركهايمر وأدورنو** في كتابهما " **جدل التنوير** " تعريف **الجهل بوصفه عملية منظمة لإنتاج الوعي الزائف عبر الثقافة الجماهيرية والإيديولوجيا، مما يُخضع الأفراد لهيمنة العقل الأداتي ومفرزاته**، وأكمل **هربرت ماركيوز** هذا الاتجاه، معتبراً أن الجهل يُسهم في خلق " **الإنسان ذو البعد الواحد** " الذي يفتقد القدرة النقدية ويقبل بأنماط السيطرة القائمة.

بذلك يتضح أن **السوسيولوجيا لم تنظر إلى الجهل كحالة ثابتة، بل كمفهوم ديناميكي متحول من غياب بسيط للمعرفة عند مانهايم**، إلى مورد اجتماعي مدار عند **سميثسون**، إلى خلل وظيفي عند **بارسونز**، إلى نتاج جدلي بين الفاعل والبنية عند جيدنز، وصولاً إلى أداة للهيمنة والإخضاع في **النقدية الماركسية الجديدة**. وهذا التعدد يبين أن الجهل ليس مجرد فراغ

معرفـي، بـل ظـاهرة اجتماعيـة معقـدة تتـداخل فيهـا المعرفـة بالسـلطة والثقافة.

خلاصـة القـول يُظهـر التأصـيل المعرفـي لمفهـوم الجهـل مسـاراً تطوريـاً متـدرجاً، مـن تعريفـه اللغـوي البسـيط كنقـيض للعلـم، إلـى اعتبـاره عنـد الفلاسـفة شـرطاً للـوعي والحكمـة، ثـم تحليلـه نفسـياً كآليـة دفاعيـة وانحيـاز إدراكـي، وصـولاً إلـى دراسـته سوسـيولوجياً كبنيـة اجتماعيـة تُنـتج وتـدار وتوظـف فـي خدمـة السـلطة أو الحفـاظ علـى التـوازن. **وبهـذا تتضـح الصـورة الكليـة للجهـل كظـاهرة مركبـة، لا تنفصل عن جدلية العلاقة بين المعرفة والسلطة والمجتمع.**

ثانياً- خصائص الإنسان والمجتمع الجاهل (مقاربة تحليلية):

كما هو معلوم لدينا أن **الجهل ظاهرة مركبة ذات أبعاد معرفية ونفسية واجتماعية**، لا تختزل في غياب المعلومات فحسب، **بل تتجسد كبنية ذهنية وثقافية تنتج أنماطاً من التفكير والسلوك تعيق تطور الفرد والمجتمع. فالإنسان الجاهل** يظهر سمات خاصة مثل: الانغلاق الفكري، التبعية، العاطفية المفرطة، والجمود القيمي، في حين يتجلى **الجهل على مستوى المجتمع** في شكل بنية سلطوية مغلقة، واعتماد على الخرافة، وضعف المؤسسية، وإعادة إنتاج الفقر والإقصاء. **وبهذا يصبح الجهل ليس مجرد حالة فردية، بل منظومة تاريخية واجتماعية متكاملة تؤثر في مسار الحضارات وإمكانيات التغيير.**

1- الجهل على المستوى الفردي: إن الإنسان الجاهل لا يُختزل في كونه فرداً يفتقد إلى المعرفة، بل هو نتاج منظومة اجتماعية وثقافية تعمل على تكريس أنماط محددة من التفكير والسلوك. **ويمكن لنا رصد أبرز سماته وخصائصه في مستويات متعددة: معرفية، نفسية، سلوكية، وأخلاقية، وهي كالآتي:**

أ- الانغــلاق المعرفــي وضــيق الأفــق الفكــري: يُعـرف الإنسـان الجاهـل مـن الناحيـة المعرفيـة **بانحصـاره فـي أنمـاط فكريـة مغلقـة، ورفضـه للتعدديـة المعرفيـة والنقديـة.** فهـو يفتقـد إلـى القـدرة علـى طـرح الأسـئلة أو إعـادة النظـر فـي المسـلمات، ممـا يجعلـه أسـيراً للجاهزيـة الفكريـة التـي تعيـق قدرتـه علـى التكيّـف مـع المتغيـرات. بـذلك يعـيش الجاهـل داخـل **نسـق ثقـافي مغلـق يتخـذ مـن المـوروث مرجعاً أوحد،** ويقاوم أي محاولة للفهم أو التغيير.

ب- التبعيـة والخضـوع للسـلطة: يميـل **الإنسـان الجاهـل إلـى قبـول الخطــاب الســلطوي دون مســاءلة،** ســواء كــان سياســياً أو دينيــاً أو اجتماعيــاً، مــا يــؤدي إلــى إضــعاف ملكاتــه النقديــة. وهنــا نجــد أن الجهــل لا يفهــم كغيــاب للمعرفــة فقــط، بــل كنتــاج لعلاقــات قهريــة تعيـد إنتـاج الخضـوع والتبعيـة. **وتتمثـل هـذه التبعيـة فـي الاستسـلام للتوجيهــات مــن دون وعــي نقــدي، ممــا يرســخ اســتلاب الإرادة الفردية.**

ج- العاطفيــة المفرطــة علــى حســاب العقلانيــة: مــن ســمات الجاهـل **تغليــب الانفعــال العــاطفي** علـى التحليـل العقلانــي. فهـو

يتخذ مواقفه استناداً إلى **الانتماءات القبلية أو العاطفية** لا إلى الحجج المنطقية أو الأدلة العلمية. ويرى **مصطفى حجازي** أن **العاطفية السطحية في المجتمعات المتخلفة** تعكس عجزاً عن ضبط الانفعالات وتوليد وعي عقلاني بالواقع. وهذا يفضي إلى سهولة انقياده وراء الشعارات والخطابات الشعبوية.

د- **الجمود القيمي والأخلاقي:** يتسم **الإنسان الجاهل بالتمسك الأعمى بالقيم التقليدية من دون وعي بطبيعتها النسبية أو التاريخية**، ما يجعله يقاوم أي محاولة للتحديث أو التجديد. هذا الجمود لا يعني الثبات الإيجابي، بل يترجم في شكل رفض للتنوع، ونزعة نحو التمسك باليقينيات المطلقة، مما يعيق تطور الحس الأخلاقي النقدي.

هـ- **إعادة إنتاج الخرافة والأسطورة:** يظهر الجاهل ميلاً إلى **تفسير الظواهر باللجوء إلى الخرافات والتفسيرات الغيبية غير العلمية**، مما يعكس **هشاشة في الوعي العلمي**. وفي هذا السياق يتم الربط بين **الجهل وبناء تصورات أسطورية عن العالم تخدم القوى المهيمنة في ترسيخ الوضع القائم.**

و- **العجز عن إدارة الاختلاف:** ومن خصائص **الجاهل أنه يفتقد إلى مهارة التعايش مع التنوع**، إذ يرى في **الاختلاف تهديداً لهويته وقيمه.** وهو ما يجعل **الصراع والمواجهة خياراً غالباً لديه بدلاً من الحوار.** ويشير حجازي إلى أن **المجتمع الجاهل ينتج شخصية هشّة تتوجس من كل مختلف، وتبحث عن الأمان في التماثل.**

وبذلك يمكن القول إن **الإنسان الجاهل لا يمثل حالة فردية منعزلة، بل يتجسد في صورة شخصية متناقضة: منغلقة فكرياً، تابعة سلطوياً، عاطفية مفرطة، جامدة قيمياً، خرافية في تفسيرها للواقع، وعاجزة عن إدارة التنوع.** وهذه السمات تجعل منه أداة لإعادة إنتاج الجهل الاجتماعي، بدلاً من أن يكون فاعلاً في تجاوزه.

2- الجهل على المستوى المجتمعي: في هذا السياق نجد أن **المجتمع الجاهل لا يختزل في مجموعة أفراد يفتقدون إلى المعرفة**، بل هو **نسق ثقافي وسياسي واقتصادي** يعيد إنتاج

الجهل ويحوله إلى منظومة متكاملة. **ومن أبرز خصائصه ما يلي:**

أ- البنية السلطوية المغلقة: يتسم المجتمع الجاهل بتركيبة سلطوية تجعل من الطاعة قاعدةً للسلوك الجمعي، حيث تحتكر الحقيقة والمعرفة في يد نخبة محدودة، ويفرض على الأفراد الامتثال دون نقد أو مساءلة. هذه البنية تؤدي إلى تقييد الإبداع وتحجيم المبادرات الحرة. وترى **حنة أرندت** أن المجتمعات التي تُقصي الحوار الحر تؤسس لفضاء عام عجز فيه الأفراد عن التمييز بين **الحقيقة والدعاية**، وهو ما **يعمق الجهل الجماعي.**

ب- سيادة الوعي الأسطوري: يظهر **المجتمع الجاهل اعتماداً واسعاً** على التفسيرات الغيبية والرمزية للظواهر الاجتماعية والسياسية، إذ تتحول **الخرافة إلى أداة تفسيرية تهيمن على المخيال الجمعي.** وهذا النمط لا ينبع من غياب المعرفة فحسب، بل من بنية ثقافية تُشرعن الاستسلام للقدر بدلاً من **التحليل العقلاني للواقع.**

ج- ضعف المؤسسية وانهيار المنطق القانوني: ففي المجتمعات الجاهلة **يغيب احترام القوانين كمعيار جامع**، لتحل محله **الولاءات العشائرية، أو الطائفية، أو الجهوية**. هذا الوضع يؤدي إلى إضعاف ثقة الأفراد بالمؤسسات، وتعزيز منطق القوة والزبائنية في إدارة الشأن العام. ومن ثم، تصبح البنية الاجتماعية عرضة للتفتت والانقسام عند مواجهة الأزمات.

د- إعادة إنتاج الفقر والتهميش: المجتمع الجاهل لا يكتفي بتكريس الجهل الفكري، بل يعيد إنتاج الجهل المادي عبر **التفاوتات الاقتصادية وحرمان فئات واسعة** من حقها في **التعليم والمعرفة**. فالجهل والفقر متلازمان، فغياب القدرات المعرفية يفضي إلى استمرار الحرمان الاقتصادي، والعكس صحيح.

هـ- النزعة الإقصائية تجاه الآخر: يميل المجتمع الجاهل إلى النظر إلى المختلف الثقافي، أو الديني، أو الفكري بوصفه تهديداً يجب عزله أو تهميشه. هذه النزعة تضعف إمكانيات التعايش، وتحول التنوع إلى مصدر صراع دائم. وهو ما يجعل الجهل أداة

لتثبيت **أنماط اللامساواة الاعترافية** التي تعيق إدماج الفئات المختلفة.

و- هشاشة الوعي التاريخي والمستقبلي: ومن خصائص المجتمع الجاهل أنه يعيش في **حاضر متقطع غير متصل بجذوره التاريخية ولا بآفاقه المستقبلية**. فهو **يختزل الماضي في صورة مثالية جامدة، ويرفض استيعاب التحولات الحديثة**، ما يتركه عالقاً في " **زمن دائري** " يعيد إنتاج ذاته دون تقدم.

وبذلك فإن **المجتمع الجاهل ليس مجرد جماعة محرومة من التعليم**، بل هو **بنية ثقافية – سياسية** تنتج الانغلاق، وتشرعن الخرافة، وتضعف المؤسسية، وتعيد إنتاج الفقر والإقصاء، وتعيش في قطيعة مع وعيها التاريخي والمستقبلي. وهو بهذا يشكل السياق الأكبر الذي يولد منه الإنسان الجاهل ويستمد سماته.

خلاصة القول، إن تحليل خصائص الإنسان والمجتمع الجاهل يكشف أن الجهل يتجاوز كونه نقصاً معرفياً ليصبح أداة لإعادة

إنتاج التبعية والاستبداد والتخلف. **فالإنسان الجاهل يمثل الحلقة الأضعف في مواجهة التحولات، بينما المجتمع الجاهل يكرس بنية ثقافية وسياسية مغلقة تقاوم النقد والتجديد.** ومن ثم، فإن تجاوز الجهل لا يتم عبر التعليم الشكلي فقط، بل يتطلب بناء وعي نقدي، ومؤسسات عادلة، وثقافة قادرة على استيعاب التنوع وتوليد معرفة حرة.

ثالثاً– أنواع الجهل مقاربة معرفية وبنيوية:

يعتبر **الجهل من المفاهيم المعقدة** التي لا يمكن اختزالها في مجرد غيابٍ للمعلومة، بل هو بناء متعدد الأبعاد يتفاوت من حيث طبيعته المفهومية، كما يختلف في سياقاته **البنيوية والاجتماعية والثقافية والسياسية.** وفي الأدبيات الحديثة، خاصة مع بروز **حقل دراسات الجهل (Agnotology)**، فأصبح النظر إلى **الجهل يتجاوز التعريف الساذج بوصفه نقصاً معرفياً، ليُقرأ باعتباره أداة معرفية واجتماعية قد تنتج عمداً أو تنشأ بصورة بنيوية داخل أنساق الثقافة والسياسة.**

فعلى **مستوى المفهوم**، يمكن التمييز بين **أربعة أنماط رئيسية من الجهل. أولها** ما يسمى **الجهل البسيط**، وهو غياب معلومة محددة أو معرفة مباشرة بقضية بعينها. وهذا النمط يشكل الشكل الأكثر شيوعاً للجهل، وغالباً ما يعالج عبر التعليم أو النفاذ إلى مصادر المعرفة. وقد تم ربط هذا النمط بضعف الوعي العام بالسياسة، حيث إن نقص المعرفة بالمعلومات الأساسية ينعكس مباشرة على كفاءة العملية الديمقراطية. أما النمط **الثاني** فهو

الجهـل المركـب، الـذي يتجـاوز غيـاب المعلومـة المفـردة إلـى شـبكة أوسـع مـن الفجـوات المعرفيـة المتداخلـة، فقـد يكـون مزيجـاً مـن نقـص فـي المعلومـات، وتعقيـد لغـوي، وتهمـيش مؤسسـاتي، مـا يجعـل الفهـم العـام مشوشـاً وغيـر مكتمـل. ويشـير **بروكتـور** إلـى أن للجهـل " **جغرافيـا** " و " **تضـاريس** " تتـوزع عبـر التـاريخ والمجتمـع، بحيـث تتـراكم أنمـاط متشـابكة مـن الجهـل داخـل منـاطق معرفيـة بعينها.

ويظهـر النـوع **الثالـث** تحـت مسـمى **الجهـل الكامـل**، حيـث لا يكـون هنـاك مجـرد نقـص فـي المعلومـات، بـل غيـاب تـام للإطـار المفهـومي أو غيـاب للسـؤال نفسـه. فـي هـذه الحالـة، لا يـدرك الأفـراد أو الجماعـات حتـى وجـود مجـال معرفـي معـين يمكـن أن يشـكل موضـوعاً للبحـث أو النقـاش. يوضـح **شـايبنغر** أن هـذا الـنمط مـن الجهـل يمكـن أن يتأصـل عبـر ممارسـات تاريخيـة طويلـة الأمـد، مثـل تغييـب مسـاهمات النسـاء فـي العلـوم أو حـذف معـارف الشـعوب الأصـلية مـن السـردية العلميـة السـائدة. وهنـا لا يكفـي

مجرد توفير المعلومات، بل يصبح الأمر مرتبطاً باستعادة أطر معرفية بأكملها.

أما النوع **الرابع** فيتمثل في **الجهل المقدس**، وهو نمط مختلف تماماً، يُطلق على **التدين الرافض للمعرفة العلمية التي يظن المتدين بأنها متناقضة مع الدين، أو تضعف الشعور الديني.** كما لا ينظر إليه على أنه نقص معرفي يجب تجاوزه، بل يُحتفى به أحياناً بوصفه مسلكاً روحانياً نحو الحقيقة. ففي التراث **الصوفي المسيحي** مثلاً، يتجلى هذا النمط في كتاب ***The Cloud of Unknowing*** الذي يرى في الجهل بالله شكلاً من أشكال السمو الروحي والاقتراب من الإله عبر السلب والتجاوز. بهذا المعنى يصبح الجهل المقدس حالة إرادية وفضيلة معرفية مرتبطة بالبعد الديني أو الميتافيزيقي.

وفي **السياق الإسلامي**، يمكن ملاحظة أن مفاهيم مشابهة ظهرت لدى **الفرق الصوفية**، حيث ينظر إلى " **التجهيل الذاتي** " أحياناً كوسيلة **للتواضع أمام الله تعالى وترك التعلق بالعلم الظاهري إلى جانب السعي وراء المعرفة الباطنية**. وهذا

النمط من الجهل يختلف جذرياً عن الجهل البسيط أو المركب، لأنه قائم على **قصد معرفي وروحي، وليس على نقص عرضي أو تراكم فجوات معرفية.**

بذلك يمكننا القول **إن الجهل المقدس في الإسلام، كما في التصوف المسيحي، يُفهم كأداة معرفية روحية تهدف إلى تجاوز حدود المعرفة العقلية، والتقرب من الحقيقة المطلقة، ويُعتبر فضيلة معرفية، لا عيباً أو نقصاً.**

وإذا انتقلنا من **مستوى المفهوم إلى مستوى البنية**، فإننا نجد أن للجهل حضوراً آخر يتجلى في ثلاثة أنماط أساسية. أولها **الجهل الثقافي**، وهو نتاج **عمليات تاريخية ومؤسساتية تؤدي إلى تغييب أو تهميش معارف بعينها**. يتجلى ذلك مثلاً في كيفية تجاهل بعض المناهج التعليمية لتواريخ الجماعات المهمشة، أو في عملية " **صناعة الشك** " التي مارستها شركات التبغ لعقود حول الأضرار الصحية للتدخين، ثم **الجهل الاجتماعي** الذي يمثل صورة لبنية معرفية تتوزع داخل المجتمع وفق التراتب الطبقي، الفوارق الاقتصادية، أو القيود المؤسسية

على الوصول إلى المعرفة. وهو **ناتج عن عدم تساوي فرص الحصول على المعلومات، أو عن إقصاء جماعات معينة من الفضاءات التعليمية والثقافية، ما يؤدي إلى فجوات معرفية متراكمة تعكس البنية الاجتماعية نفسها**. بهذا المعنى، يُنظر إلى الجهل الاجتماعي كحالة متجذرة في توزيع السلطة والفرص، دون الحاجة إلى تبني أي افتراض حول " **جهل مهيمن** " محدد، ما يجعله قابلاً للتحقق والملاحظة عبر بيانات اجتماعية، وثقافية موثوقة.

أما البعد الثالث فهو **الجهل السياسي،** الذي يتسم بطابع مزدوج. فمن جهة، قد يكون ناتجاً عن اختيار عقلاني من الأفراد، كما يوضح **إيليا سومن،** حيث يرى الناخب أن **تكلفة التعلم السياسي تفوق الفائدة المتوقعة من مشاركته في الانتخابات،** وهو ما يعرف بالـ " **جهل العقلاني** ". ومن جهة أخرى، قد يكون الجهل السياسي نتيجة استراتيجيات متعمدة من قبل فاعلين سياسيين أو مؤسسات إعلامية لخلق تضليل أو

تشويش، وبالتالي تقييد مساءلة الحكومة والمجتمع المدني، وهو ما يسمى أحياناً بالـ " **جهل المصنع** ".

وهكذا عند النظر في هذه الأبعاد الثلاثة معاً، يتضح أن **الجهل البنيوي ليس مجرد غياب عشوائي للمعلومة**، بل هو **عملية معقدة ترتبط بإنتاج المعرفة وتوزيعها في المجتمع.** فالجهل الثقافي **يعكس الاختيارات التاريخية والمؤسساتية**، والجهل الاجتماعي **يبرز التفاوتات البنيوية والهيمنة الطبقية**، والجهل **السياسي يُظهر العلاقة بين المعرفة والسلطة والمصالح.** ومن هذا المنظور، **يصبح الجهل البنيوي ظاهرة اجتماعية وثقافية وسياسية متشابكة، تستلزم أدوات تحليلية دقيقة لفهم دينامياتها وآليات إنتاجها واستدامتها.**

خلاصة القول، يتبين لنا من خلال التحليل السابق أن الجهل ليس حالة واحدة بسيطة، بل هو ظاهرة متعددة المستويات والأبعاد. فمن **الناحية المفهومية**، يمكن أن يتجلى في صورة **جهل بسيط** يُختزل في غياب معلومة محددة، أو **جهل مركب** ينشأ من تداخل فجوات معرفية متشابكة تعطل إمكانية الفهم

الكلـي. كما قـد يتخـذ شـكلاً أكثـر جذريـة فيمـا يسـمى **بالجهـل الكامـل**، حيـث يغيـب الإطـار المفهـومي ذاتـه بفعـل عمليـات محـو أو إقصـاء معرفـي ممتـدة. وفـي المقابـل، نجـد نمطـاً مغـايراً تمامـاً هـو **الجهـل المقـدس الـذي يعـد فـي التـراث الروحـي خبـرة إيجابيـة تتجاوز حدود العقل واللغة.**

وعلـى **الصـعيد البنيـوي**، يكتسـب الجهـل أبعـاداً أكثـر تركيبـاً، إذ يمكـن أن يظهـر فـي صـورته **الثقافيـة** عبـر تغييـب السـرديات والمعـارف المهمشـة أو صـناعة الشـكوك بشـكل مؤسسـاتي، كمـا يتجسـد **اجتماعيـاً** فـي آليـات الهيمنـة الطبقيـة أو العرقيـة التـي تنـتج أشـكالاً مـن " **الجهـل المهـيمن** " ، بينمـا يتبـدى **سياسـياً** إمـا كخيـار عقلانـي يفسـر عـزوف النـاخبين عـن الـتعلم أو كـأداة اسـتراتيجية لصناعة التضليل وتقييد المساءلة العامة.

إن هـذا **التنـوع الـدلالي والبنيـوي** يكشـف أن الجهـل لـيس مجـرد نقـص محايـد فـي المعرفـة، بـل هـو ظـاهرة بنيويـة ومعرفيـة يمكـن أن تكـون أداة للسـيطرة بقـدر مـا يمكـن أن تشـكل فضـاءً للتأمـل الروحـي أو حـافزاً للبحـث العلمـي. ومـن ثـم، فـإن فهـم الجهـل يتطلـب مقاربـة

شـمولية تنظـر إليــه بوصــفه مجــالاً تتقــاطع فيــه المعرفــة والســلطة والثقافــة، ممــا يجعــل دراســته ضــرورة لفهــم ديناميــات المجتمعــات المعاصرة وآليات إنتاج الحقيقة والمعنى داخلها.

رابعاً– الأسباب البنيوية للجهل في المجتمعات العربية المعاصرة:

يعد الجهل في المجتمعات العربية المعاصرة **ظاهرة متعددة الأبعاد تتجاوز حدود الفرد لتصبح نتاجاً لتراكمات بنيوية واجتماعية وثقافية وسياسية.** فليس الجهل مجرد نقص في التعليم أو المعرفة الفردية، بل هو انعكاس لعلاقات تاريخية معقدة تشمل الاستعمار الذي أعاد تشكيل نظم التعليم والثقافة، والعولمة التي فرضت نماذج معرفية أجنبية أضعفت الهويات المحلية، والاستبداد السياسي الذي قيد حرية الفكر والمعرفة. **كما تتفاعل هذه العوامل مع أوجه القصور الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لتثبيت دائرة الجهل على المستوى الجماعي والفردي.**

وبهذا، فإن دراسة الجهل في تلك المجتمعات **تتطلب تحليلاً نقدياً لأسبابه البنيوية، لفهم كيف تتداخل القوى التاريخية والسياسية والاجتماعية لتحدد مسار التنمية المعرفية والثقافية في المجتمعات العربية المعاصرة.** بناءً على ما سبق سنحاول التوقف عند مجموعة من الأسباب التي نعتقد بأنها من الأسباب الأولية لمشكلة الجهل في مجتمعاتنا العربية وهي كالآتي:

1- **الاستعمار وتشكيل الهويات المعرفية:** كما هو معلوم لنا **لعب الاستعمار الأوروبي في العالم العربي** خلال القرنين **التاسع عشر والعشرين** دوراً محورياً في صياغة البنى المعرفية التي ما زالت تؤثر في حاضر المجتمعات العربية. فقد لم يقتصر الاستعمار على السيطرة السياسية والعسكرية، بل امتد ليعيد تشكيل المؤسسات التعليمية والثقافية والدينية بما يخدم مشروعه في إعادة إنتاج الهيمنة. بذلك نجد أن **التعليم الاستعماري** لم يكن هدفه نشر المعرفة بقدر ما كان يهدف إلى تكوين " **طبقة وسيطة** " مرتبطة بالمستعمر وتابعة له في أنماط التفكير والقيم.

بالمقابل أنشأت **القوى الاستعمارية مدارس حديثة اعتمدت على المناهج الغربية**، وأهملت إلى حد كبير الموروثات التعليمية التقليدية التي شكلت على مدى قرون البنية الثقافية العربية الإسلامية. **وقد نتج عن هذا مسارين متوازيين:** مسار النخب المتعلمة على النمط الغربي، ومسار الجماهير التي بقيت خارج هذه المنظومة، مما أدى إلى تكريس الفجوة المعرفية. ويرى **إدوارد سعيد** أن هذا " **التأسيس المعرفي الاستعماري** " **أسس**

لرؤية استشراقية جعلت من الثقافة العربية موضوعاً للهيمنة والتشيؤ، وهو ما انعكس سلباً على ثقة المجتمعات بذاتها وقدرتها على إنتاج معرفة مستقلة.

كما أن الاستعمار **مارس إعادة صياغة للهويات المعرفية من خلال فرض لغات أجنبية في التعليم والإدارة، وهو ما أدى إلى تهميش اللغة العربية كلغة علم وبحث، وتحويلها تدريجياً إلى مجرد لغة ثقافية أو دينية، في حين أصبحت الفرنسية أو الإنجليزية لغة الإدارة والتقنية والمعرفة الحديثة.** وهذا ما يصفه **أنور عبد الملك " بالازدواجية البنيوية** " التي جعلت المجتمعات العربية **تتأرجح بين لغتين وثقافتين، ففقدت القدرة على بناء مشروع معرفي متماسك.**

ومن النتائج المباشرة لهذا الواقع **أن المجتمعات العربية ورثت بعد الاستقلال دولاً بُنيت على أنماط معرفية استوردها الاستعمار**، واستمرت هذه الأنماط بعد رحيله بسبب غياب المشروع الوطني البديل. **وهو ما جعل كثيراً من النظم التعليمية العربية مجرد إعادة إنتاج للهيمنة المعرفية الغربية**، الأمر الذي

ساهم في استمرار حالة الجهل البنيوي، ليس بوصفه انقطاعاً معرفياً، **بل بوصفه نتاجاً لهويات معرفية مشوهة.**

2- **العولمة والهيمنة الثقافية:** تعتبر العولمة أحد أبرز العوامل البنيوية التي أسهمت في تكريس الجهل في المجتمعات العربية المعاصرة، ليس من خلال نشر المعرفة فحسب، بل عبر فرض نماذج معرفية وثقافية خارجية أدت إلى إضعاف الهويات المحلية وتهميش الإنتاج المعرفي الذاتي. **فالعولمة الثقافية لم تكن مجرد انفتاح على العالم، بل مثلت مشروعاً لإعادة تشكيل الوعي الجمعي عبر آليات القوة الناعمة**، بما في ذلك الإعلام، والتعليم، والتكنولوجيا. وهنا تتجلى إشكالية أساسية، إذ تحولت العولمة إلى أداة لإعادة إنتاج التبعية المعرفية، حيث باتت النماذج الغربية في المعرفة والعلم مرجعية شبه وحيدة، على حساب السياقات المحلية.

لقد أفرزت هذه العملية ما يمكن تسميته "**بالاستلاب المعرفي**"، حيث **يستهلك الأفراد والمجتمعات أنماط التفكير والرموز والمعارف دون امتلاك القدرة النقدية على إعادة توطينها أو**

تكييفها مع خصوصياتهم الثقافية والاجتماعية. ومن ثم، يتعزز الجهل البنيوي عبر ما يمكن وصفه " **بالجهل المستتر** " الذي يُخفي ذاته خلف مظاهر التحديث والانفتاح، لكنه في الواقع يقود إلى ضعف القدرة على إنتاج معرفة نقدية محلية أصيلة.

كما أن العولمة ساهمت في تكريس " **التفاوت المعرفي** " بين الشمال والجنوب، حيث تركزت مراكز البحث والإنتاج العلمي في الغرب، بينما بقيت معظم الدول العربية في موقع المستهلك للمعرفة لا المنتج لها. ويشير **سمير أمين** إلى أن **العولمة ليست سوى طور متقدم من أطوار الرأسمالية الإمبريالية التي تعيد إنتاج التبعية الثقافية والمعرفية للعالم العربي**. وهذا ما يجعل الجهل في السياق العربي ليس مجرد نقص في التعليم، **بل نتيجة بنيوية لسيطرة نظام معرفي عالمي متمركز حول الغرب، يُضعف القدرة على بلورة بدائل مستقلة.**

إجمالاً، يمكن القول إن العولمة عمقت أزمة الجهل البنيوي عبر فرض هيمنة معرفية وثقافية، خلقت فراغاً بين الشكل والمضمون: **شكل التحديث والانفتاح، ومضمون التبعية**

والاستلاب. وهذا ما يفسر كيف أن مجتمعات عربية عديدة رغم ارتفاع نسب التعليم فيها، ما زالت عاجزة عن تجاوز البنية المعرفية التقليدية أو إنتاج نماذج مستقلة للمعرفة والتنمية.

3- **الاستبداد وتقييد حرية التعبير**: يمثل **الاستبداد السياسي** أحد أبرز الأسباب البنيوية لترسيخ الجهل في المجتمعات العربية المعاصرة، حيث تَحوّل إلى آلية ممنهجة لإنتاج أنماط من " **الوعي المزيف** " القائم على **التلقين لا على التفكير النقدي**. **فالأنظمة السلطوية**، عبر التاريخ الحديث والمعاصر، **لم تنظر إلى المعرفة باعتبارها قوةً للتحرر، بل تعاملت معها كتهديد لبنيتها السياسية والاجتماعية، فعملت على ضبطها وتوجيهها بما يخدم مصالحها**. وهذا ما جعل المعرفة في كثير من السياقات العربية مشروطة بحدود السلطة ومقيدة بموازينها، لا نابعة من حاجات المجتمع أو تطلعاته.

إن **غياب حرية التعبير وتقييد الصحافة والمؤسسات الأكاديمية** خلق ما يمكن وصفه " **بالفراغ المعرفي** "، حيث يتم إقصاء الأصوات النقدية والبديلة، وإحلال خطاب رسمي يكرس

ثقافة الطاعة والامتثال. وهنا **يصبح الجهل ليس مجرد حالة من نقص المعلومات، بل هو نتاج سياسي مؤسس على إقصاء البدائل المعرفية وإعادة إنتاج رواية واحدة للواقع**. وقد أشار **عبد الله العروي** إلى أن الاستبداد يحول دون تشكل عقل نقدي حر، لأنه يفرض لغة السلطة على حساب لغة المجتمع.

كما أن الاستبداد يولد آليات " **رقابة ذاتية** " داخل المؤسسات التعليمية والثقافية، **حيث يخشى الأكاديميون والمثقفون تجاوز الخطوط الحمراء**. هذه الرقابة الذاتية أخطر من الرقابة المباشرة، لأنها تتحول إلى بنية ذهنية تعيق التفكير النقدي والإبداعي، وتخلق ما يسميه **حنّة أرندت** " **بالسطحية الفكرية** " التي تُبقي الأفراد في حالة من الانشغال بالشكل دون التعمق في الجوهر. وفي هذا السياق، **تصبح المعرفة وسيلة للتماهي مع السلطة لا لمساءلتها، فيستمر الجهل كآلية للضبط الاجتماعي والسياسي.**

ويضاف إلى ذلك أن **الاستبداد في العالم العربي** غالباً ما ارتبط بمظاهر من الفساد البنيوي، وهو ما أدى إلى **تهميش**

البحث العلمي، وتوجيه موارده لخدمة مصالح نخبوية ضيقة. وهذا ما يفسر تراجع الجامعات العربية في مؤشرات التصنيف العالمي، وغيابها عن مراكز إنتاج المعرفة المؤثرة. فالاستبداد لا يكتفي بإنتاج جهل سياسي، بل ينسحب إلى الجهل العلمي والمعرفي، عبر إضعاف المؤسسات الأكاديمية وتحويلها إلى فضاءات للتلقين والتوظيف الإيديولوجي.

خلاصة القول، إن الاستبداد في المجتمعات العربية أنتج بنية من " **الجهل الممنهج** "، حيث يتم تطبيع المجتمع على قبول التبعية والخضوع، وتُقصى إمكانات النقد والتغيير. **وهو بذلك لا يعكس فقط أزمة سياسية، بل أزمة معرفية وثقافية عميقة، تجعل من الجهل نتيجة حتمية لبنية الحكم السلطوي.**

4- **ضعف المؤسسات التعليمية وتقييد الفكر النقدي:** تعتبر **المؤسسات التعليمية في المجتمعات العربية أحد العوامل الأساسية في إنتاج أو تفكيك الجهل البنيوي،** لكنها في الواقع غالباً ما تمثل إحدى أدوات تثبيت الجهل. فالأزمة لا تقتصر على نقص التمويل أو ضعف البنية التحتية، بل تتعداها إلى

هيكلية المعرفة نفسها، حيث يغلب **المنهج التلقيني** على التعليم، **ويهمش التفكير النقدي والتحليلي**. كما نلاحظ **أن نمط التعليم التقليدي يعيد إنتاج الإطار الثقافي القديم دون تقديم أدوات للتجديد أو التفاعل مع المتغيرات المعاصرة.**

تؤدي هذه **الهيمنة المنهجية إلى خلق جيل يمتلك معرفة سطحية وشكلية، لكنه يفتقر إلى القدرة على الاستقصاء النقدي وتطوير حلول مبتكرة للمشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.** حيث يؤدي غالباً إلى إعادة إنتاج المعرفة في المؤسسات التعليمية العربية ما يخدم مصالح النخب الحاكمة ويحد من قدرة الطلاب على التفكير الحر.

كما أن **ضعف المناهج التعليمية الحديثة يؤدي إلى عزوف الطلاب عن البحث والتحليل**، ويعزز الاعتماد على المعرفة المستوردة من الخارج، **مما يضاعف أزمة الهوية المعرفية المحلية.** وهذا بدوره يخلق دورة من **الجهل البنيوي**، حيث ينتقل من جيل إلى جيل دون أي فرصة حقيقية لإحداث تغيير معرفي جوهري.

إضافة إلى ذلك، **فإن البنية الإدارية للمؤسسات التعليمية غالباً ما تفرض رقابة غير مباشرة على البحث العلمي والنشر الأكاديمي، حيث تتوقف فرص الترقية والتقدير على مدى التوافق مع السياسات الرسمية، وليس على الجودة البحثية.** هذا الواقع يعزز " **الجهل المؤسسي** " الذي يرى فيه الباحثون **أن المعرفة أداة طاعة لا أداة نقد.**

وأخيراً، فإن **ضعف البنية التربوية يؤدي إلى غياب الثقافة النقدية المجتمعية**، بحيث لا يتعلم الطلاب مهارات التفكير المستقل، ولا يهيئون للمشاركة الفاعلة في الحياة العامة. وبهذا تصبح المؤسسات التعليمية ليست مجرد ناقل للمعرفة، بل صانعة للجهل البنيوي الذي يغذي الهياكل الاجتماعية والسياسية القائمة.

5- **تخلف البنى الاقتصادية والاجتماعية:** يشكل **التخلف الاقتصادي والاجتماعي** أحد الركائز الأساسية التي تنتج الجهل البنيوي في المجتمعات العربية المعاصرة. فغياب التنمية الاقتصادية وعدم تكافؤ الفرص يؤديان إلى **ضعف البنى التحتية**

للمعرفة، وبالتالي الحد من إمكانية إنتاج المعرفة المستقلة. حيث تؤدي البنية الاقتصادية الهشة إلى تعطيل المؤسسات التعليمية والبحثية، **وتجعل المجتمع أكثر عرضة للاستهلاك المعرفي الخارجي بدلاً من الإنتاج المحلي.**

ويضاف إلى ذلك أن **الفقر وعدم المساواة الاجتماعية** يكرسان فجوة معرفية واضحة بين الفئات المجتمعية المختلفة. فالأفراد الذين ينتمون إلى الطبقات الأقل دخلاً يواجهون صعوبة في الوصول إلى التعليم الجيد، والكتب، والموارد البحثية، أو حتى الإنترنت، مما يعزز دائرة الجهل ويجعلها متوارثة بين الأجيال.

كما أن ضعف البنى الاجتماعية، مثل **ضعف الأسرة في دعم الثقافة والمعرفة**، وانخفاض معدلات القراءة والتثقيف الذاتي، يضاعف تأثير التخلف الاقتصادي على مستوى الوعي والمعرفة. **ففي المجتمعات التي تسيطر فيها البنى التقليدية والبيروقراطية، لا يكون للمعرفة سوى وظيفة شكلية، بينما**

تبقى الهيمنة الاقتصادية والسياسية الفعلية محددة لمجالات التفكير واتخاذ القرار.

إن تخلف **البنية الاقتصادية والاجتماعية** ليس مجرد نقص مادي، بل هو **عامل مركزي في إنتاج الجهل البنيوي لأنه يحد من قدرة الأفراد على المشاركة في عملية إنتاج المعرفة**، ويؤدي إلى اعتماد المعرفة المستوردة والخارجية. كما أنه يربط بين الفقر والجهل بشكل عضوي، بحيث يصبح التعليم والتفكير النقدي سلعة تتاح فقط لمن يمتلك الوسائل الاقتصادية والاجتماعية الكافية، في حين تُحرم باقي الفئات من المشاركة المعرفية .

وهكذا، يتضح أن **البنى الاقتصادية والاجتماعية الهشة تشكل بيئة خصبة لتكرار الجهل من جيل إلى جيل**، لأنها تمنع التمكين المجتمعي وتقيد قدرة المواطنين على تطوير مهاراتهم الفكرية والمعرفية، وتكرس تبعيتهم للمعرفة المستوردة أو المفاهيم المسلمة من الخارج.

6- **الأبعاد الثقافية والدينية المتشددة:** تلعب **الأبعاد الثقافية والدينية** المتشددة دوراً مهماً في ترسيخ الجهل البنيوي في المجتمعات العربية المعاصرة، من خلال ضبط الفكر، وتقييد حرية البحث العلمي والنقد، وفرض قراءة محددة للتراث الديني والثقافي. **فحين تتحول الثقافة والدين إلى أدوات للرقابة الاجتماعية والفكرية، يصبح النقد والتحليل شبه مستحيلين، ويستبدل بالمعرفة التقليدية الثابتة التي لا تتيح مرونة في مواجهة التحولات الحديثة.** كما يشير **الجابري** إلى أن **الإسلام السياسي** في بعض السياقات المعاصرة فرض تفسيراً أحادياً للنصوص، مما أدى إلى إغلاق المجال أمام التفكير العقلاني والتجديد العلمي.

كما تؤدي **الطائفية والانقسامات الاجتماعية** القائمة على **الانتماءات الدينية أو المذهبية** إلى إنتاج معرفة محدودة، حيث يصبح الفكر مرتبطاً بالهوية الانتمائية أكثر من ارتباطه بالحقائق العلمية أو القيم الإنسانية العامة. ويصف **العروي** هذه الظاهرة

بأنها تقييد للفكر ضمن أطر معرفية ضيقة، تجعل من الإبداع والبحث النقدي أشبه بمغامرة اجتماعية خطيرة.

ومن جهة أخرى، فإن التفسيرات التقليدية التي تُفرض على النظام التعليمي والمجتمع تؤدي إلى ترسيخ جهل " **مقدس** "، أي **معرفة تُقدس دون نقاش أو مراجعة**، كما هو الحال عند بعض **التيارات الدينية المتشددة**. بذلك يخلق الجهل المقدس جيلاً يفتقد القدرة على التساؤل والتحليل، ويعتمد على التلقين والتقليد كمعيار للمعرفة.

وإضافة إلى ذلك، فإن هذه البنى الثقافية والدينية المتشددة تتفاعل مع العوامل الاقتصادية والسياسية لتثبيت الجهل البنيوي، فالضعف الاقتصادي والاجتماعي يجعل المجتمعات أكثر تقبلاً للتفسيرات المبسطة والمغلفة بالقداسة، في حين يُستغل الاستبداد السياسي لترويج هذه الأطر كوسيلة للسيطرة على الأذهان.

خلاصة القول، إن الأبعاد الثقافية والدينية المتشددة ليست مجرد تعبير عن إرث ثقافي، **بل هي عامل بنيوي مركزي في**

إنتاج الجهل المعاصر، لأنها تقيد القدرة على التفكير النقدي، وتمنع تطوير المعرفة المستقلة، وتُعزز من اعتماد الأفراد على المعرفة المسلّمة والمنقولة من مصادر تقليدية أو خارجية.

7- **ضعف البنية المعلوماتية والتكنولوجية:** يشكل **ضعف البنية المعلوماتية والتكنولوجية** أحد أبرز العوامل البنيوية التي تعزز الجهل في المجتمعات العربية المعاصرة، إذ يقيد الوصول إلى المعرفة الحديثة، ويحد من **القدرة على البحث، والتحليل، والإنتاج العلمي المحلي. فالانتقال إلى مجتمع المعرفة يتطلب بنية رقمية متطورة تشمل الإنترنت عالي السرعة، قواعد البيانات العلمية، المكتبات الرقمية، والمنصات التعليمية المتقدمة، لكن الواقع العربي يعاني من فجوة رقمية واسعة بين الفئات والمناطق.** وتتجلى هذه الفجوة في محدودية الوصول إلى المحتوى الرقمي باللغة العربية، إذ يشير **تقرير اليونسكو** إلى أن أقل من 3٪ من المحتوى الرقمي العلمي متاح باللغة العربية، ما يضطر الباحثين والطلاب إلى الاعتماد على مصادر أجنبية، مما يحد من إنتاج المعرفة المحلية ويكبل التنمية الفكرية .

إضافة إلى ذلك، **يفرض ضعف البنية التكنولوجية قيوداً على التعليم عن بعد، والبحث العلمي الحديث، وتبادل المعرفة بين المؤسسات العربية وبينها وبين مراكز البحث العالمية.** وهذا ما يؤكده **تقرير البنك الدولي،** الذي يشير إلى أن نقص البنية التحتية الرقمية يعزز الفجوة المعرفية بين الدول العربية والاقتصادات المتقدمة، ويحول دون استفادة الطلاب والباحثين من أحدث الموارد العلمية.

كما أن **ضعف التهيئة المعلوماتية يؤدي إلى تفاقم أوجه الجهل البنيوي** الناتجة عن العوامل السابقة، إذ يصبح المجتمع أكثر اعتماداً على المعرفة التقليدية أو المستوردة، وأقل قدرة على إنتاج حلول مبتكرة للتحديات المحلية. ويعكس هذا التداخل بين الفقر الرقمي، وقصور المؤسسات التعليمية، واستمرار الهيمنة الثقافية الغربية، كيف أن ضعف البنية المعلوماتية يضاعف من دائرة الجهل البنيوي ويجعل المجتمع أقل قدرة على مقاومة التبعية المعرفية.

نستنتج مما سبق أن **تعزيز البنية التكنولوجية والمعلوماتية ليس مجرد استثمار في الأجهزة والاتصالات**، بل هو **شرط أساسي لإعادة بناء المعرفة المحلية وتمكين الفكر النقدي**، وتوسيع دائرة الوصول إلى المعلومات، **وبالتالي كسر حلقة الجهل البنيوي في المجتمعات العربية.**

- **خلاصة القول (رؤية نقدية):** تُظهر الدراسة أن الجهل في المجتمعات العربية المعاصرة ليس مجرد نقص فردي في المعرفة، **بل هو نتاج بنيوي مركب يتداخل فيه التاريخ السياسي، والثقافة، والاقتصاد، والتعليم، والتكنولوجيا**. فقد أفرز الاستعمار هويات معرفية مشوهة وأعاد ترتيب النظام التعليمي والثقافي بما يخدم الهيمنة الغربية، في حين عمّقت العولمة تبعية المعرفة وأضعفت القدرة على الإنتاج المحلي النقدي. كما ساهم الاستبداد السياسي في تقييد حرية التعبير وتحويل المؤسسات التعليمية والثقافية إلى أدوات للرقابة، ما أضعف الفكر النقدي وأنتج جهلاً مؤسسياً.

إضـافة إلـى ذلـك، فـإن ضـعف البنيـة التعليميـة وتخلـف المنـاهج التقليديـة، مـع محدوديـة التمويـل والتطـوير المؤسسـاتي، يعـوق قـدرة المجتمــع علــى إنتــاج المعرفــة. وتفاعــل ذلــك مــع التخلــف الاقتصــادي والاجتمــاعي، والأبعــاد الثقافيــة والدينيــة المتشــددة، جعـل مـن الجهـل ظـاهرة مسـتمرة ومتوارثـة، بينمـا يضـاعف ضـعف البنيـة المعلوماتيـة والتكنولوجيـة هـذه الأزمـة مـن خـلال الحـد مـن الوصول إلى المعرفة الحديثة والمصادر الرقمية.

يمكـن القـول إن الأسـباب السـابقة **تشـكل حلقـة مترابطـة، كـل عامـل فيهـا يعـزز تـأثير الآخـر، مـا يجعـل الجهـل فـي المجتمعـات العربيـة معقـداً ومتعـدد المسـتويات**. ويؤكـد هـذا **أن معالجـة الجهـل لا يمكـن أن تكـون مجـرد سياسـات تعليميـة سـطحية، بـل تتطلـب رؤيـة شـاملة تتعامـل مـع البنيـة المعرفيـة والسياسـية والاقتصـادية والثقافية بشكل متكامل.**

خامساً- أدوات وآليات تكريس الجهل في المجتمعات العربية المعاصرة:

بعد دراسة الأسباب البنيوية للجهل في المجتمعات العربية المعاصرة، **يتضح أن الجهل لا يظل نتيجة ظرفية أو فردية، بل يتم تكريسه بشكل ممنهج عبر مجموعة من الأدوات والآليات المتداخلة. هذه الأدوات تعمل على تثبيت التبعية المعرفية، وإضعاف التفكير النقدي، ومنع إنتاج معرفة مستقلة قادرة على مواجهة التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية.** ولتحليل هذه الأدوات بعمق، يمكن تصنيفها إلى محاور **سياسية، ثقافية، تكنولوجية، واجتماعية**، وهي كالآتي:

1- الأدوات السياسية والسلطوية: تُعد **الدولة والأنظمة السياسية أدوات مركزية لتكريس الجهل**، عبر فرض رقابة على المناهج الدراسية، وتوجيه البحث العلمي، والتحكم في الإعلام. **فالسياسات السلطوية تحول المعرفة من وسيلة للتحرر إلى أداة لإعادة إنتاج الطاعة والخضوع.** كما تخلق هذه الأدوات **ثقافة الخوف المعرفي**، حيث **يلتزم الأفراد بما هو مألوف**

ومعتمد رسمياً، خوفاً من العقاب، ما يحد من التفكير النقدي والتجديد الفكري.

2- الأدوات الثقافية والدينية: تشمل هذه الأدوات **المناهج التعليمية التقليدية، والتراث الثقافي الجامد، والتفسيرات الدينية الأحادية.** هذه البنى الثقافية تخلق **بيئة معرفية مغلقة،** تُقصي أي **محاولة للتفكير النقدي، وتجعل الجهل ممارسة اجتماعية متوارثة.** بالإضافة إلى ذلك، فإن بعض **التيارات الدينية المتشددة** تعزز مفهوم " **الجهل المقدس**"، أي **المعرفة التي تقدس دون نقاش أو مراجعة، ما يحد من الإبداع العلمي والفكري.**

3- العادات والتقاليد المجتمعية: تلعب **العادات والتقاليد المجتمعية** دوراً خفياً في تكريس الجهل، عبر إعادة إنتاج أطر معرفية محدودة، **تقيد دور الفرد في المجتمع وتفرض حدوداً على التفكير النقدي.** فعلى سبيل المثال، تميل بعض **البنى الاجتماعية التقليدية إلى مقاومة التغيير أو رفض أي تجديد معرفي يهدد القيم السائدة،** وتربط التعليم والمعرفة **بممارسات**

محــــددة مســــبقاً، مــا يضــع قيــوداً علــى تطــوير القــدرات الفرديــة والجماعيــة. كمــا تســاهم هــذه التقاليــد فــي ترسـيخ أدوار اجتماعيــة جامــدة، تحــد مــن المشــاركة المتســاوية للنســاء والشــباب فــي العمليــة التعليمية والمعرفية، ما يفاقم **أزمة الجهل البنيوي**.

4- الأدوات التكنولوجيـــة والمعلوماتيـــة: يعــزز ضــعف **البنيـــة التكنولوجيـــة والمعلوماتيـــة** تكــريس الجهــل مــن خــلال الحــد مــن الوصــول إلــى المعرفــة العلميــة والرقميــة، **وخلــق تبعيــة معرفيــة للمعرفــة المســتوردة**. فــالمحتوى **الرقمــي العربــي محــدود، والمكتبــات الإلكترونيــة وقواعــد البيانــات العلميــة غيــر متاحــة بالشــكل الكــافي**، ما يحد من قدرة الباحثين والطلاب على تطوير المعرفة المحلية.

5- الأدوات الاقتصـــادية والاجتماعيـــة: فــي واقــع الأمــر **يشـــكل الفقــر وعــدم المســـاواة الاجتماعيـــة** أدوات غيــر مباشــرة لتكــريس الجهــل، حيــث يمنــع نقــص المــوارد الاقتصــادية وصــول الأفــراد إلــى التعلــيم الجيــد والمكتبــات والمصـــادر العلميــة. **وهـــذا يـــؤدي إلـــى تكــريس فجــوة معرفيــة بــين الطبقــات الاجتماعيــة، ويجعــل الجهــل متوارثاً عبر الأجيال.**

خلاصة القول، يتضح من خلال ما سبق أن تكريس الجهل في المجتمعات العربية المعاصرة ليس حالة عابرة، **بل عملية ممنهجة ومترابطة تنسجها شبكة من الأدوات السياسية، والثقافية، والاجتماعية، والتكنولوجية.** هذه الأدوات تعمل معاً على تعزيز التبعية المعرفية، وإضعاف التفكير النقدي، ومنع إنتاج معرفة مستقلة قادرة على مواجهة التحديات المعاصرة. إن فهم هذه الآليات أمر ضروري لتصميم استراتيجيات شاملة لإصلاح التعليم، وتمكين البنية التكنولوجية، وتشجيع حرية التعبير، ومراجعة العادات والتقاليد التي تحد من التجديد المعرفي، بما يتيح للمجتمعات العربية الخروج من دائرة الجهل البنيوي.

- **تفاعل الأسباب البنيوية مع أدوات تكريس الجهل:** بعد دراسة الأسباب البنيوية للجهل في المجتمعات العربية المعاصرة، يتضح أن هذه الأسباب لا تعمل بمعزل عن آليات تكريس الجهل، بل تتكامل معها لتنشئ دورة مستمرة من التبعية المعرفية والفكرية. **فالأسباب البنيوية – مثل الاستعمار، والعولمة،**

والاستبداد السياسي، وضعف المؤسسات التعليمية، والتخلف الاقتصادي والاجتماعي، والتشدد الثقافي والديني، وضعف البنية المعلوماتية – تشكل البيئة التحتية التي تصبح فيها أدوات تكريس الجهل فعالة.

فعلى سبيل المثال، أدى الاستعمار إلى **إعادة تشكيل الهويات المعرفية**، مما خلق أرضية خصبة للهيمنة الفكرية والثقافية، وتم تكريس ذلك لاحقاً من خلال المناهج التعليمية التقليدية، **وفرض تفسير أحادي للدين والثقافة، والرقابة السياسية على المؤسسات التعليمية والإعلامية**، وبالمثل، فإن ضعف البنية التكنولوجية والمعلوماتية يجعل المجتمعات أكثر اعتماداً على المعرفة المستوردة، ما يعزز تأثير الاستبداد والعولمة على الهيمنة الفكرية.

كما أن **التخلف الاقتصادي والاجتماعي** يُعمق فجوة الوصول إلى التعليم والبحث العلمي، في حين تعمل العادات والتقاليد المجتمعية على فرض حدود على التجديد المعرفي، خاصة على الفئات الأكثر هشاشة، بما في ذلك النساء والشباب. هذه

التفاعلات تُنتج حلقة مغلقة من الجهل البنيوي، حيث يصبح كل عامل سبباً لتثبيت الآخر، وتصبح الجهود الفردية للتعلم أو النقد ضعيفة مقارنة بالهيمنة المؤسسية والاجتماعية المستمرة.

من هذا المنطلق، يمكننا القول إن **الجهل في المجتمعات العربية المعاصرة ظاهرة مركبة ومترابطة، تجمع بين عوامل تاريخية وبنيوية وأدوات ممنهجة لتكريسه. إن إدراك هذا الترابط هو شرط أساسي لتصميم استراتيجيات إصلاحية شاملة، تشمل تطوير التعليم، وتعزيز حرية التعبير، وتمكين البنى التكنولوجية، ومراجعة العادات والتقاليد، بما يسمح لكسر حلقة الجهل وإنتاج معرفة نقدية ومستقلة.**

سادساً- سُبل تجفيف منابع الجهل في المجتمعات العربية المعاصرة كسلاح للتحرر من الهيمنة والسيطرة:

إن الجهل في السياق العربي المعاصر لا يُعد مجرد غياب للمعرفة، **بل يشكل أداة مقننة لإعادة إنتاج السيطرة وتكريس أنماط التبعية السياسية والثقافية.** فحين **يُحرم الأفراد من أدوات التفكير النقدي، يصبحون عرضة للانقياد وراء الخطابات السلطوية،** مما يحول الجهل إلى قوة اجتماعية تساهم في ضبط المجال العام وإضعاف إمكانات التغيير. ومن هنا، **فإن تجفيف منابع الجهل يتطلب تجاوز الحلول الجزئية والوعظية، باتجاه مشروع حضاري متكامل يستهدف البنى المنتجة للجهل ويعيد بناءها على أسس معرفية نقدية.**

فعلى **الصعيد التعليمي،** يتجلى الحل في **إصلاح المنظومة التعليمية والمناهج التدريسية** لتتحول من نظام يقوم على التلقين إلى فضاء لإنتاج التفكير النقدي والإبداعي، بما يسمح للمتعلمين بامتلاك أدوات الفهم والتحليل المستقل. كما أن إعادة الاعتبار للمعلم كفاعل ثقافي لا كمجرد ناقل للمعرفة يعد شرطاً لنجاح هذا

التحول. وقد شدد **باولو فريري** في كتابه " **تربية المقهورين** " على أن **التعليم النقدي هو السبيل لتحرير الإنسان من دوائر القهر**.

أما على **الصعيد السياسي**، فإن تعزيز **حرية الرأي والتعبير** يظل أساسياً لتداول المعرفة من دون قيود، إذ أن الأنظمة القمعية تسهم بشكل مباشر في إنتاج " **ثقافة الطاعة** " التي تُغلق أفق التفكير النقدي. وفي هذا السياق، ويؤكد **بورديو** أن غياب العدالة في توزيع " **رأس المال الثقافي** " يكرس التفاوتات البنيوية التي تنتج الجهل وتعيد إنتاجه.

وعلى المستوى **الاقتصادي والاجتماعي**، فإن معالجة الجهل ترتبط بشكل وثيق **بإصلاح السياسات العامة التي تعالج الفقر والبطالة والتفاوت الطبقي**، حيث **إن غياب العدالة الاجتماعية يحرم فئات واسعة من حقها في التعليم والمعرفة، ويعيدها إلى دائرة التهميش المعرفي**. ومن هنا، يصبح الإنصاف الاقتصادي شرطاً لبناء مجتمع معرفي متماسك.

أما في المجال **الإعلامي والثقافي**، فإن **السيطرة على الخطاب العام عبر أدوات الإعلام الموجه تساهم في إعادة إنتاج الجهل الجماعي**. لذلك، فإن تجفيف هذه المنابع **يتطلب تحرير الإعلام من الهيمنة السياسية والتجارية، وإعادة توجيهه نحو بناء ثقافة نقدية تسهم في نشر الوعي الجمعي**. كما أن استثمار الوسائط الرقمية الحديثة يفتح آفاقاً جديدة **لإنتاج خطاب معرفي بديل يواجه الثقافة الاستهلاكية والتضليل الإعلامي**.

ولا يمكن **إغفال البعد الديني** في هذا السياق، إذ إن **تجديد الخطاب الديني** وتخليصه من **النزعات التقديسية للجهل** يُعد ضرورة لإعادة وصل الدين بآفاق العقل والمعرفة، **بعيداً عن استغلاله لتكريس الطاعة والانقياد**. وهو ما يفرض دوراً فاعلاً على المؤسسات الدينية والمفكرين في **تحرير التدين من التوظيف السياسي والإيديولوجي**.

وأخيراً، فإن تفعيل **البحث العلمي** وتمويله بشكل جاد يمثل أحد أعمدة مقاومة الجهل. **فالمجتمعات التي لا تنتج المعرفة محكوم عليها بالاستهلاك الثقافي والعلمي، مما يعمق تبعيتها للآخر.**

ومن هنا، فإن الاستثمار في مراكز الأبحاث والجامعات وإتاحة المعرفة بشكل مفتوح أمام العامة هو شرط أساسي لبناء مجتمع قادر على كسر دوائر الجهل.

وبناء على ما تقدم، يمكن القول **إن تجفيف منابع الجهل يتطلب رؤية شمولية تتقاطع فيها السياسات التعليمية والسياسية والاقتصادية والثقافية والدينية، في مشروع حضاري يستند إلى العدالة والمعرفة النقدية**. بذلك يصبح الوعي النقدي ليس مجرد ترف فكري، **بل أداة استراتيجية للتحرر من أنماط السيطرة والهيمنة التي تكبّل المجتمعات العربية.**

(الخاتمة)

لقد أظهر البحث أن **الجهل في المجتمعات العربية المعاصرة يمثل ظاهرة معقدة ومترابطة الأبعاد، تتجاوز مجرد نقص المعلومات أو ضعف المعرفة الفردية، لتصبح أداة مؤثرة في تشكيل وعي الأفراد والمجتمعات وإعادة إنتاج البنى الاجتماعية والسياسية القائمة.** ويشير التحليل إلى أن الجهل لا ينشأ في فراغ، بل يتجذر في سياقات تاريخية وثقافية وسياسية متشابكة، **بدءاً من إرث الاستعمار الذي أسهم في تشويه الهويات المعرفية، مروراً بسياسات القهر الاجتماعي والسيطرة المؤسساتية، وصولاً إلى أدوات الإعلام والثقافة التي تعمل على تعزيز سلطة المعرفة الزائفة، وإدامة التبعية الفكرية.**

ويظهر البحث أيضاً من خلال **تحليل خصائص الإنسان والمجتمع الجاهل** وأنواع الجهل المختلفة، أن **الجهل البنيوي والمقدس ليس مجرد حالة عرضية، بل عملية متواصلة لإعادة إنتاج المواقف الفكرية السلبية،** مما يعيق التفكير النقدي ويحد من القدرة على التغيير والإبداع. هذا **التعقيد البنيوي** يجعل من

مواجهة الجهل مهمة استراتيجية تتطلب أدوات معرفية ونقدية متقدمة، وقدرة على فهم العلاقات بين المعرفة والسلطة والسيطرة.

كما يؤكد البحث أن **أسباب الجهل البنيوية، بما في ذلك ضعف المؤسسات التعليمية، قلة الفرص الثقافية، واعتماد السياسات التي تهدف إلى تثبيت سلطة الهيمنة، تسهم في استمرار دورة الجهل، وتحول المعرفة إلى سلطة تحتكرها طبقات معينة على حساب المجتمع ككل**. ومن هذا المنطلق، **يصبح تجفيف منابع الجهل ضرورة قصوى**، لا تتعلق بتزويد الأفراد بالمعلومات فحسب، **بل بإعادة بناء وعي جماعي قادر على التفكير النقدي، وتحليل الواقع**، واتخاذ القرارات المستقلة، بما يفتح الطريق أمام حرية الفكر والممارسة المجتمعية الفاعلة.

إن **معالجة الجهل تتطلب مقاربة شاملة تجمع بين التحليل المعرفي والنقدي والإجراءات العملية، بدءاً من تعزيز الوعي النقدي والمعرفي للأفراد، مروراً بتطوير البنى التعليمية والثقافية، وصولاً إلى دعم مشاركة المجتمع في خلق بيئة**

معرفيـــة حـــرة ومســـتقلة. فالجهــل، فـــي جــوهره، أداة للســيطرة، والتحــرر منــه يشـكل ركيـزة أساسـية لبنــاء مجتمــع واعٍ قــادر علــى الابتكــار واستشــراف المســتقبل، وتحقيــق التنميــة المســتدامة علــى الأصعدة الثقافية والاجتماعية والسياسية.

وفـي النهايـة، يؤكـد هـذا البحـث **أن المعرفــة ليســت مجــرد نقــل للمعلومـــات، بـــل قـــوة تحرريـــة تمـــنح المجتمعـــات القـــدرة علـــى مواجهـــة الهيمنـــة الفكريـــة والاجتماعيـــة**، وتمكـين الأفـراد مــن ممارسـة **حــريتهم الفكريــة والاجتماعيــة بفاعليــة، وبنـــاء مجتمـــع يـربط بـين التفكيـر النقـدي والتنميـة المسـتدامة**، مـا يجعـل مواجهـة الجهــل مســؤولية جماعيــة وأداة اســتراتيجية للتقــدم والنهضــة. بــذلك لا يقــاس **تقـــدم المجتمـــع بمعرفتـــه فحســـب، بـــل بقدرتـــه علـــى مواجهة الجهل البنيوي الذي يعيق التفكير النقدي والإبداعي.**

(قائمة المراجع)

– أرندت، حنّة. 2016. **أسس التوتاليتارية**. ط2. ترجمة: أنطوان أبو زيد. دار الساقي. بيروت.

– الجابري، محمد. 2009. **تكوين العقل العربي**. ط10. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.

– الدواي، عبد الرزاق. 2013. **في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات – حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة**. ط1. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. بيروت.

– العروي، عبد الله. 2008. **السنة والإصلاح**. ط1. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء (المغرب).

– العروي، عبد الله. 2012. **مفهوم العقل مقالة في المفارقات**. ط1. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء (المغرب).

– الغليفى، عبد الله بن محمد. 2008. **العذر بالجهل أسماء وأحكام**. ط2. دار القرآن. مكة المكرمة.

– اليونيسكو. 2019. **بناء مجتمعات المعرفة في المنطقة العربية – اللغة العربية بوابة المعرفة**. منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة (اليونيسكو). القاهرة.

- أمين، سمير. 2007. **الرأسمالية في عصر العولمة (إدارة المجتمع المعاصر)**. ط1. الشركة العالمية للكتاب. بيروت.

- بركات، حليم. 1998. **المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي**. ط6. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.

- جيدنز، أنتوني. 2000. **قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع – نقد إيجابي للاتجاهات التفسيرية في علم الاجتماع**. ط1. العدد: 214. ترجمة وتقديم: محمد محيى الدين. مراجعة وتصدير: محمد محمود الجوهري. المشروع القومي للترجمة. القاهرة.

- جيدنز، أنتوني. 2003. **عالم جامح. كيف تعيد العولمة تشكيل حياتنا**. ط1. ترجمة: عباس كاظم وحسن كاظم. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء (المغرب).

- جيدنز، أنتوني. 2005. **علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)**. ط4. ترجمة: فايز الصياغ. المنظمة العربية للترجمة. بيروت.

- حجازي، مصطفى. 2005. **الإنسان المهدور (دراسة تحليلية نفسية اجتماعية)** ط1. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء وبيروت.

- حجازي، مصطفى. 2005. **التخلف الاجتماعي – مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور**، ط9. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء وبيروت.

– حرب، علي. 2005. **أزمنة الحداثة الفائقة (الإصلاح، الإرهاب، الشراكة)**، ط1. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء وبيروت.

– حرب، علي. 2002. **العالم وأزمته – منطق الصدام ولغة التداول**، ط1. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء وبيروت.

– حنفي، ساري. أرفانيتس، ريغاس. 2015. **البحث العربي ومجتمع المعرفة – رؤية نقدية جديدة**. ط1. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.

– حوراني، ألبرت. 1997. **تاريخ الشعوب العربية**. ط1. تعريب: أسعد صقر. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر. دمشق.

– روا، أوليفييه. 2012. **الجهل المقدس – زمن بلا ثقافة**. ط1. ترجمة: صالح الأشمر. دار الساقي. بيروت.

– سعيد، إدوارد. 2024. **الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق**. ط3. ترجمة: محمد عناني. مؤسسة هنداوي. المملكة المتحدة.

– سعيد، إدوارد. 2022. **السلطة والمثقف**. ط3. ترجمة: محمد عناني. مؤسسة هنداوي. المملكة المتحدة.

– عبد الملك، أنور. 2005. **الجدلية الاجتماعية**. ط1. العدد: 916. ترجمة: عبد العظيم حماد، سامية الجندي. المشروع القومي للترجمة. القاهرة.

- عماد، عبد الغني. 2006. **سوسيولوجيا الثقافة. المفاهيم والإشكاليات... من الحداثة إلى العولمة**. ط1. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.

- فؤاد، أحمد نعمات. 1985. **صناعة الجهل**. ط1. دار المستقبل العربي. القاهرة.

- كونانك، توما دور. 2004. **الجهل الجديد ومشكلة الثقافة**. ط1. ترجمة: منصور القاضي. مجد المؤسسة الجامعية للدارسات والنشر والتوزيع. بيروت.

- ماركيوز، هربرت. 1988. **الإنسان ذو البعد الواحد**. ط3. ترجمة: جورج طرابيشي. دار الآداب. بيروت.

- مانهايم، كارل. 1980. **الإيديولوجيا واليوتوبيا (مقدمة في سوسيولوجيا المعرفة)**. ط1. ترجمة: محمد رجا الديريني. شركة المكتبات الكويتية. الكويت.

- مصطفى، صفوان. حب الله، عدنان. 2008. **إشكاليات المجتمع العربي: قراءة من منظور التحليل النفسي**. ط1. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء (المغرب).

- منظور، ابن. ب.ت . **لسان العرب**. طبعة جديدة ومحققة. دار المعارف. القاهرة.

– مـؤلفين، مجموعـة. 2000. **الـدين فـي المجتمـع العربـي**. ط2. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.

– مـؤلفين، مجموعـة. 2017. **العنـف والسياسـة فـي المجتمعـات العربيـة المعاصـرة (مقاربـة سوسـيولوجية وحـالات)**. ط1. الجـزء: الأول. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. بيروت.

– هوركهايمر، ماكس. أدورنو، تيودور. 2006. **جدل التنوير – شـذرات فلسفية**. ط1. ترجمة: جورج كتورة. دار الكتاب الجديد المتحدة. بيروت.

– Bourdieu, Pierre. 1986. **The Forms of Capital**. In Handbook of Theory and Research for the Sociology of Education, edited by John G. Richardson. 241–258. Greenwood Press. New York.

– Freire, Paulo. 1970. **Pedagogy of the Oppressed**. Continuum Books. New York.

– Johnston, William. trans. 1973. **The Cloud of Unknowing and the Book of Privy Counselling. Garden City**. Doubleday. New York.

– Kahneman, Daniel. 2011. **Thinking, Fast and Slow**. Farrar. Straus and Giroux. New York.

- Parsons, Talcott. 2005. **The Social System**. Editor: Bryan S. Turner. Routledge Sociology Classics. London.

- Plato. 1981. **Apology**. Translated by G. M. A. Grube. Hackett. Indianapolis.

- Popper, Karl. 1963. **Conjectures and Refutations: The Growth of Scientific Knowledge**. Routledge. London.

- Proctor, Robert N. Schiebinger, Londa. 2008. **Agnotology (the Making and Unmaking of Ignorance)**. Stanford University Press. Stanford.

- Smithson, Michael. 1989. **Ignorance and Uncertainty: Emerging Paradigms**. Springer-Verlag. New York.

- Somin, Ilya. 2013. **Democracy and Political Ignorance: Why Smaller Government Is Smarter**. CA: Stanford University Press. Stanford.

- UNDP.2019. **Arab Human Development Report 2019**. Challenges and Opportunities in Knowledge Societies. New York: United Nations Development Programme.

- UNESCO. 2015. **UNESCO Science Report: Towards 2030**. Paris: UNESCO Publishing.

- World Bank. 2018. **World Development Report 2018: Learning to Realize Education's Promise**. Washington. DC: World Bank.

****

الدكتور حسام الدين فياض الأستاذ المساعد في النظرية السوسيولوجية المعاصرة (دكتوراه دولة) باحث وأكاديمي في العلوم الثقافية واللغويات واللسانيات الاجتماعية. له العديد من الأبحاث العلمية والمقالات الفكرية التي تجمع بين النظرية السوسيولوجية النقدية، والفكر الاجتماعي، والثقافي المعاصر.

ولد في **مدينة حلب** عام 1980. درس الليسانس في جامعة حلب كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم علم الاجتماع وتخرج منها عام 2004، حصل على دبلوم الدراسات العليا السكانية عام 2005 في كلية الاقتصاد جامعة حلب، ثم حصل على دبلوم الدراسات العليا علم الاجتماع العام عام 2006 في كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة دمشق. وفي عام 2006 عُيِنَ معيداً في قسم علم الاجتماع كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة حلب باختصاص (النظريات السوسيولوجية المعاصرة). حصل على درجتي الماجستير والدكتوراه من جامعة عين شمس في جمهورية مصر العربية. ويعمل حالياً في قسم علم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة **ماردين ارتوقلو (تركيا)**.

" المجتمعات التي تسمح بتكريس الجهل، تسمح أيضاً في إبقاء قوى الهيمنة والسيطرة على وعي أفرادها " (الكاتب).

نحو علم اجتماع تنويري للدراسات والأبحاث الإنسانية والسوسيولوجية

@ enlightenment980@gmail.com